من خلفَهم لعلهم يذكرون * وإما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحبّ الخائنين ﴾[1] .

وقبل أن نشرح القضية التى نريد شرحها هنا ، نصف المجتمع المدنى عقب الهجرة النبوية .

قال الشيخ إبراهيم القطان : « لما قدم النبى ﷺ إلى المدينة صار الكفار به أقساما ثلاثة : قسما صالحهم ووادعهم على ألاّ يحاربوه ولا يظاهروا عليه ولا يوالوا عدوا له ! وهم ـ مع كفرهم ـ آمنون على دمائهم وأموالهم ، وقسما حاربوه وناصبوه العداوة ، وقسما تركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه ، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره مع عدوه»[2] .

وكان يهود المدينة ، وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، من القسم الأول ! وقد احْترم المسلمون المعاهدة المبرمة مع هذه القبائل كلها فهل بادلهم اليهود وفاء بوفاء؟ كلاّ كانت قلوبهم تغلى كلما أصابت الدعوة الإسلامية نجاحا ، ومن هنا لم تسنح لهم فرصة غدر إلاّ اهتبلوها . . !

وبعد معركة بدر التى انتصر فيها الإسلام على الوثنية ، ركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم على محاربة النبى ومن معه ! وكان الرجل فى خصومته فاجرا ، فرثى قتلى المشركين ، وحثّ على الثأر لهم !

ثم عاد إلى المدينة التى تنظم علائق سكانها معاهدة معروفة !

فأمر الرسول ﷺ بقتله ، فقتل وأخمدت فتنته .

والذى يتدبر الآيات التى سقناها يجد كراهية للغدر والخيانة وأمرا بتأديب الخونة على نحو يخيف أمثالهم ويلزمهم حدودهم ﴿ فشرد بهم من خلفهم ﴾ .

وأمر آخر بإدارة القتال علانية لا ختل فيه بحيث يعلم العدو والصديق ما هنالك ، فلا مكان لمؤامرات الظلام وأساليب المكر السيئ . .

ونلفت النظر إلى أن الدعوة نفسها تدور على هذا المحور الجهير الواضح الذى يستوى فى العلم بحقائقه كل طرف من أطراف النزاع ﴿ قل إنما يوحى إلىّ أنما إلهكم إله

---

(١) الأنفال : ٥٥ ـ ٥٨ .

(٢) تيسير التفسير ؟ إبراهيم القطان ؟ جـ ٢ .